

## السوريون في الولايات المتحدة

(٢)

«ترة السوس والحري» الحلقة الاولى في سلسلة الحوادث التاريخية التي نتجت عنها الحركة السورية الحديثة الى اميركا هي فتح ترة السوس سنة ١٨٦٩. وكانت الحرب الاهلية المعروفة «بحركة الستين» قد الجأت قبل ذلك عدداً من السوريين ان يهاجروا الى مصر وكانت تلك الوثبة الاولى لبعضهم نحو العالم الجديد ولكن نتائج «الحركة» من حيث المهاجرة لم تكن مستمرة

فتح ترة السوس تأخرت تجارة سوريا البحرية واحكت اسواق اوربا عرى الاتصال مع الشرق الاقصى فاحد الحري السوري وهو من اهم صادرات البلاد يشمر منافسة الحري الياباني والعيني في اسواق ليون وبدأت اسعاره تهبط. وبتوالي الاعوام ازداد الضيق على الفلاح في سوريا. وحاول تجار الحري السوري استفتاح سوق جديدة للحري في اميركا ولكن على غير جدوى بدليل ما جاء في تقارير القناصل عن هذه المدة. ومنهم القنصل الاميركي العام بسنفر Bissinger في بيروت الذي رفع الى حكومته تقريراً عام ١٨٨٩ جاء فيه ان موسم الفيض (الشرانق) لتلك السنة لم يزد على ٦٩٧ ٦٢٦ ٥ ليبرا وفيه ٢٥ في المئة نقص عن الموسم الاعتيادي. وعقب على ذلك بقوله «ان عدداً وافراً من التجار المشترين راجعوني مراراً في شأن تصدير حريهم الى الولايات المتحدة رأساً وهم راضون في ذلك رغبة شديدة كما يفت مراراً في تقاريري السابقة». ويظهر ان الحالة بقيت على سورتها لانتا ترى في تقرير القنصل الاميركي دويل Doyle لسنة ١٨٩٢ ما لفة: «لم تزل تجارة الحري في يد اصحاب المعامل الافرنسية وهؤلاء يدفعون ثمناً لا يرح من ورائه لزراع»

ومما زاد في شقاء الفلاح ان داء الرمذ (النيوكسره) اخذ حوالي سنة ١٨٩٠ ينشى في الكروم ويفتك بتاجها. فوقف الفلاح تجاه هذا العدو وقفة اعزل محروم من المعرفة الفنية العملية لمحاربه. ولما كانت موجة المهاجرة قد بلغت اشدها في تلك الاثناء لم يبق لدينا من شك بوجود علاقة سببية بينها وبين محل مواسم الحري والكروم

﴿العامل السياسي﴾ من طالع ما يكتبه السوريون الاميركيون عن اسباب هاجرتهم يُخيل اليه ان مرجعها بالاكثير ظلم الحكومة التركية وطلب الحرية والسلام تحت سماء يعيش المرء فيها حراً شرفاً مساوياً لكل احد آخر لا تصيقة عوائق سياسية عن التقدم ولا تعرقل مساعيه عراقيل اجتماعية عن الترقى . فرائدهم كانت برمتها ناقية على الحكومة التركية ورب يوم كان يجتمع فيه في مدينة نيويورك وحدها لا اقل من عشرين شخصاً منهم محكوم عليهم في الامتانة بالاعدام . وقد سألت كثيرين من السوريين عن اسباب هاجرتهم فاجابوا بما مفاده ان العامل السياسي في اعتبارهم موام العوامل . واليك نموذجا منها وعو جواب طيب « ليس من ينكر ان حب الحرية هو الذي حمل السوريين على هجرة بلادهم . وما يستحق الذكر ان صورة اول طائفة سورية دخلت الولايات وهي طائفة عربيي رُسمت وفي يديها رقعة عليها هذه الآية « ها انا والاولاد سعدنا بالحرية » وعلاقة بالشكل السياسي امر الخدعة العسكرية فانها اوجدت عذراً للعند وافر من المسلمين للهجرة وبعد عام ١٩٠٩ للمسلمين والمسيحيين . وهالك تعريب تفراف نشرته جريدة السن Sun النيويوركية بتاريخ ٩ آذار (مارس) سنة ١٩١٣ من مراسلها في حيفا حيث قال « ما من باخرة في هذه الايام تترك الشواطئ السورية الى اميركا الشمالية او الجنوبية الا وهي مشحونة بالمهاجرين واكثرهم مسيحيون فارون من الخدمة العسكرية »

﴿العامل الديني﴾ كون الاغلبية العظمى من المهاجرين السوريين مسيحيين ورغم كون المسلمين في البلاد يزيدون على المسيحيين دليل كاف على ان الدين علاقة بالمهاجرة . بيد ان المسلمين اقل طموحاً الى السفر واشد تعلقاً بالبلاد . ومحل معظم النكتة من المهاجرين هذا العامل المحل الثاني بعد العامل السياسي ويذهبون الى ان التضيق على بعضهم بداعي ممتقدم تضيقاً بلغ في بعض الاحيان درجة الاضطهاد . هو الذي حمل الكثيرين من مسيحيي سوريا على المهاجرة . على اننا من القائلين بتقديم العامل الاقتصادي يتلوه السياسي فالديني تلك هي العوامل الرئيسية الثلاثة ﴿تأثير التلم﴾ ولا يخفى ان هنالك عوامل اخرى ثانوية مساعدة لا بد من اعتبارها واؤها الارشادات والمشورات التي ماقتى السابقون من المهاجرين يقدمونها الى التابئين إما كتابة او مشافهة لدى اوتبهم لزيارة البلاد . فانشرت

في طول البلاد وعرضها أقاصيص خرافية عن ثروة العالم الجديد وسهولة تحصيلها وتبادر الى ذهن العامة عندئذ ان ارض اميركا مفروشة بالذهب ولا أكثر للراغب من ان يفتح يديه ويقحف ما استطاع . ولم يقتصر المهاجرون الاولون على الاثاب بوفرة موارد البلاد المادية بل تطرقوا الى الثناء على معالم العمران فيها والاعجاب بتدنيها وروحها والمباينة بكثرة فرص التقدم فيها على ضد ما فعله مهاجرو الروس مثلاً الذين طادوا الى بلادهم وكلهم السنة تقبح الاميركان وتسجن مؤسساتهم وطرق تصرفهم الامر الذي لم يقرب عن الحاظ اللجنة الاميركية التي ارسلها الرئيس ولسن عام ١٩١٩ الى سوريا لاستطلاع رغبة الاهلين من حيث الاقتداب ولقد نوهت اللجنة بذلك في عرض تقريرها

اما المهاجرون الذين لم يعودوا الى البلاد فتحتم بعثوا بدراهمهم اليها وانفقوها بالاكثـر على بناء المنازل الفخمة المستوفى بانقرضت فكتأهم بذلك كتبوا على حائط كل بناء اعلانياً صامتاً يذيع اسم اميركا بين الملاة ويترجم بحمد ثروتها . واليك خلاصة ما لاحظته مراسل جريدة اميركية رافق لجنة المهاجرة لدرس الاحوال في تركيا سنة ١٩٠٧ قال : « معدل ما يرسله المهاجر السوري الى بلاده يزيد عما يرسله كل مهاجر آخر . وانك لتري بين بيروت ودمشق بيروتاً مشيدة بمال اميركا اكثر مما تراه في فسحة من الارض في ايطاليا حجمها خمسة اضعاف هذه . وما يدل على قوة تأثير هذا العامل ان خمسة وتسعين في المئة من الذين دخلوا الولايات في سنتي ١٩٠٨ و ١٩٠٩ مرتحوا لدى استجوابهم حين دخولهم انهم آتوا للالتحاق باقارب لهم او اصدقاء »

المسلفون ومعملاء البواخر بعد ان ابتدأت حركة المهاجرة واخذت تتعاضد نشأت فئة من المتحولين لها مصلحة شخصية في استمرار الحركة وانتشارها وهي فئة مسلفي الدراهم الذين اخذوا يقترضون طالب السفر اجرة سفرهم (التالون) ويتقاضونه ربا ووكلاء البواخر الذين جعلوا دأبهم تحريف الاهلين على السفر واصبح في المقدم الاول من القرب الحاضر منظر هؤلاء المدينين والوكلاء وهم يجولون من قرية الى اخرى في لبنان على ظهور الخيل يعرفون الضياع من البقية الباقية من بنينا منظرأ مألوفاً . على ان هذا العامل كان من العوامل المهيجة للمهاجرة

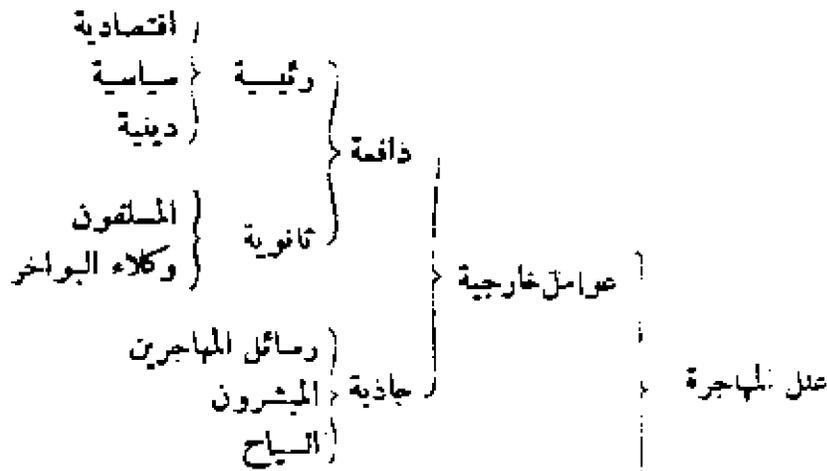
والمسئلة لها لا من العوامل التي اوجدتها

﴿ تأثير المبشرين ﴾ ويجب ان لا يغرب عن بالنا ان للعشرين الانكليز والاميركيين والسياح المتكلمين بالانكليزية بدأ في تشويق الاهلين الى الاطلاع على المدينة الغربية وبالتالي الى السفر بقصد التمتع بركاتها ومحاسنها وذلك بنشرهم معرفة اللغة الانكليزية وتلقيهم الناشئة مبادئ الجغرافية والتاريخ واسرار ترقى الامم الانكلوسكسونية . فهم وان لم يكونوا من مسببي الحركة الا انهم بلا راء كانوا حاملاً قوياً في تحريك وجهتها نحو الشواطئ الاطيركية الشمالية وانما فعلوا ذلك من غير صد منهم لاننا نعلم ان سياسة المبشرين كانت دائماً تشييط عزائم مريدي السفر ومحاولة اقناعهم بالتربص حيث هم

والذي التحقيق يتبين ان عدداً ليس بالتليل من الشبان في الولايات المتحدة هم من الذين درسوا في المدارس الاميركية والانكليزية في سوريا وفلسطين . واليك نبذة من تصريح وجيه سوري في نيويورك لمحور مجلة الاندبندنت (٢) يمكن اتخاذه اعزجاً من اختبار كثيرين غيره قال : « وكان على حائط غرفة معلمي (في المدرسة الاميركية في لبنان) سرد شتى تمثل مناظر مدن وشوارع اميركية وكنت اسمع منه عن الثلثون والتلفراف والسكك الحديدية . فشاقتي الوصف الى الوقوف على حقيقتها وللحال تجل لي ان في غير سوريا بلاداً عظيمة صالحة للسكنى وانه ربما كان من عمل اعمل فيها افضل من سيروري راجياً »

والذي جعل انطون البشعلاي يطوح بنفسه الى ما وراء البحار الى العالم الجديد بعد وقوع الفتره بينه وبين والده انما هو كونه كان قد سبق فتعرف ببعض السياح الذين يؤمون سنوياً الاراضي المقدسة واحكم معهم عرى الصداقة ورغم هذه الوسائل الاصطناعية لتكثير المهاجرين يجب ان لا ننسى انه قل من السوريين في اميركا من عمد الى الدرائع التي حمد اليها الايطاليان اولاً لجلب العملة للسكك الحديدية واليونان بعد ذلك لصنع الاحذية وبيع الازهار كان يقدم الواحد ناولوا لطالب السفر ثم يستخدمه كرفيق مدة اقامته في اميركا بطعمه ويكسوه ولا يعطيه اجرة مما يعرف بالنظام البادروني (Padrone System) وهو محظور بموجب شرائع الولايات المتحدة

**مجموع العوامل** وعلى الجملة فالأسباب التي قرئت امر مهاجرة السوريين الى الولايات هي على نوعين عوامل خارجية وبواعث نفسية. فالبواعث النفسية الوجدانية يمكن حصرها بقولنا هي رغبة المرء في تحسين حاله ولا فرق بين ان يكون التحسين مادياً او ادبياً حقيقياً او موهوماً. والعوامل الخارجية إما دافعة مركزها في البلاد المهجور منها او جاذبة ومركزها في البلاد المهاجر إليها ككتشوفقات السابقين من المهاجرين والمشرين والسياح. اما العوامل الدافعة فترئيسية وهي اقتصادية وسياسية ودينية او ثانوية وقوامها المسلقون وعملاء البواخر كما يتبين من الجدول ادناه



بواعث نفسية : الرغبة في تغيير الحال الى ما هو احسن

**مميزاتها** تختلف الهجرة السورية عن غيرها من الهجرات الى الولايات في انها جزء من كل لا كل قائم بنفسه. فالسيدونيون الاقدمون (الفينيقيون) هم اول سوريين هاجروا وكانت مستعمرات السوريين التجارية في القرون الوسطى ترصع خارطة اوريا ٣ وما زالوا على ذلك من التجوال والتنقل الى يومنا الحاضر.

(٣) راجع ما كتبه عن مهاجرة السوريين ونفسهم في القرون الوسطى في عهدي آب (عظمى) ويلتون (سجبر) من مقتطف سنة ١٩١٧. وبغضوان (تجار جنوبي السوريين في القرن الثاني عشر) في عهدي آب ويلتون من مجلة التجارة السورية الاميركية لسنة ١٩٢٠.

ومن مميزاتها انها ليست محصورة في كونها هجرة اقتصادية كما هي الحال في معظم الهجرات بل عليها صبغة دينية سياسية وبذلك تجانس الهجرة اليهودية من روسيا واوروبا الوسطى الى اميركا

ومن خصائصها انها ليست مقتصرة على الرجال بل هي هجرة عامة تتناول النساء والاولاد كما يتضح من مراجعة تقارير لجنة المهاجرة (٤) وفيها ان ٦٣٥ ٣٨ من الـ ٩٩-٥٦٩ من السوريين الذين دخلوا الولايات من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩١٠ اي ٦٧٥٩ في المئة كانوا ذكورا و ١٨ ٢٧٤ اي ٣٢١١ في المئة اناثا. ينظر من المهاجرين الارمن في المدة نفسها ٢٣٦٥ في المئة اناثا. ومن البغار والرب ٤٥٣ في المئة. ومن اليونان ٤٥٩ في المئة ومن الاسبان ١٧٢٢ في المئة والمعدل من كل الامم التي دخلت الولايات ٣٠٦٥ في المئة اناثا. ولولا ان الالف درزي والتمانية آلاف مسلم من المهاجرين السوريين لم يرافقهم سوى عدد قليل من النساء يمد على الاصابع لكان معدل الافات من السوريين يزيد كثيرا عما بلغ من الزيادة فوق معدل المجموع ومن هذا يتضح ان المهاجرة السورية هي مهاجرة طائفة مقصود بها الاستيطان الدائم في الولايات المتحدة بخلاف المشهور منها بين الاميركيين والسوريين انفسهم. نعم انها في اول اطوارها كانت مقتصرة على الشبان الذين رحلوا ولا هم لم سوى ادخار المال والرجوع بد الى الوطن القديم ولكن هذه الفكرة زالت بتوالي الاحوام لاسيا بمد ان ادرك السوري المهاجر ان للمرأة في الحرفة التي يتعاملها في الغالب وهي البيع في البيوت قيمة اقتصادية كبيرة لانها يهون عليها طرق الابواب ودخول المنازل وارضاء النساء. وما لبث ان اكتشف هذه الحقيقة حتى اخذ يطلب زوجته او والدته او شقيقته وبذلك انقطع امل الرجعة على كثيرين من الرجال ولا يخفى ما في مهاجرة المرأة من حل كثير من المشاكل الجنسية التي كانت تضرب المهاجرين الاولين لاسيا وان السوريين ابدا يقررون الزواج بينات جنسهم. ولقد ذكرني لي السيد الفاتح صديق ركب باخرة يوفانية من اليونان الى نيويورك ان معظم الركاب معه كانوا بنات يونانيات ذاهبات عن يد عميل ايتروجن بفتيان من اليونان المقيمين في الولايات والذين لم يربن منهم قبلا سوى سورهم التوتقراطية ستان البقية فيليب حني